كلمة ناجي نعمان الافتِتاحيَّة

لمناسبة مئويَّة مجلَّة "المسرَّة" الأولى

دير الآباء البولُسيِّين – جونية

في الحادي عشر من شباط ٢٠١٥

أحبَّتي، يا جميعَكم،
عَصْفَ شَوقٍ ومَطَرَ خَير،
مساءَ ثقافةٍ و"مَسَرَّةٍ"، وبَعد،

سَبَقني متري نعمان؛ سَبَقني إلى التَّبَولُسِ، إذ حَطَّ في حِصن البولُسيِّين بحَريصا، عندَ "شِير الطَّير"، في العام ١٩٣٣، وظَلَّ في كَنَفِهم، عَمَلاً ورِسالةً، طيلةَ أربعةٍ وخمسينَ من الأعوام، ولم يَرضَ بغَيرِ هذا الكَنَفِ مُستَقَرًّا، له ولِشريكة حياته وأبنائه من بَعدِه، في حِمى القدِّيس بولُس والسَّيِّدة العذراء.

سَبَقني متري إلى التَّبَولُسِ، ولا عَجَبَ، فهو الوالِدُ؛ وقد بَثَّ فيَّ وفي بَنيه حُبَّ امتِشاق اليَراعة وهَدرِ طِيبِها على الهادِف من الكَلِم؛ وحَثَّ الجميعَ على العَمل في إخلاصٍ وتَفانٍ و"لِوَجهِ الله" في أحيانٍ كثيرة؛ وشِعارُه شِعارُ البولُسيِّينَ عَينُه: "العَبدُ البَطَّالُ ألقوه في الظُّلمة البَرَّانيَّة".

***

وكنَّا، نحن "الأولاد" على ما كانَ يُنادينا متري، نَرتَوي فِكريًّا، ولاسيَّما في سِتِّينيَّات القرن الماضي وسَبعينيَّاتِه، من صُحُف يوم الأحد ومُلحقاتِها، ومن نِتاج أقلام البولُسيِّينَ وكِبارِ الأدباء والباحِثين، نَقرأُهُ في مجلَّة "المَسَرَّةِ" الشَّهريَّة، وفي هَداياها مِن قَصَصٍ وتأريخٍ وعِلم اجتماع، وكَذا في سلسلة "أُمسيات الأحَد" لأَمْسِيَةٍ ما كانَ يُلتَزَمُ به في حينِه يومًا للرَّبّ. وكنَّا، أحيانًا كثيرةً، نلجأُ إلى كُتُب "المُشَوِّق" المدرسيَّة، نَنهَلُ من مَعينها، لا تَهمُّنا المادَّةُ التي كُرِّسَت لها، ولا الصُّفوف.

وبعدما عَوَّدنا "أبو عبدِ الله" على قراءة "المَسَرَّةِ"، انتقلَ إلى مرحلة دَفعنا إلى الكتابة فيها، ونَجحَ في ذلك إلى حَدٍّ بعيد. وأذكُرُ في هذا المَجال أنَّه حَبَّرَ ذاتَ مرَّةٍ مَقالةً، ونشرَها في "المَسَرَّةِ" باسم شقيقتي سُعاد، وكَتَمَ الأمرَ عنها، تاركًا إيَّاهُ مفاجأةً تَحفيزيَّةً لها على الكتابة؛ وشاءَتِ الصُّدَفُ أن اطَّلَعَ أحدُ الآباء على "پـــروفات" عدد المجلَّة، والتقى سُعادَ، وأشادَ بمَقالتِها، فكانَ أن تفاجأَتْ، هي، وتفاجَأ! بَيْدَ أنَّ نتيجةَ تَحفيز الوالِدِ ما لبثَتْ أنْ ظهرَتْ بامتِهان سُعادَ، وقد دَرَسَتِ الأدبَ الفرنسيَّ، تَدريسَ الضَّادِ، ولِعُقود.

وما زالَ متري، العَلمانيُّ البولُسيُّ، في حُبِّ ابنةِ البولُسيِّينَ المُدَلَّلَة، "المَسَرَّة"، حتَّى قرَّرَ فَهرَسَتَها فَهرَسَةً ثلاثيَّةً؛ لكنَّ الأيَّامَ والأشغالَ أوقفَته عن مَسعاهُ ذاك؛ وإنْ هو وُفِّقَ، فَبتَهنئتها بالقَريض في فِضَّةٍ وذَهَبٍ وألماس؛ وإذْ شَخصَتْ عَينَاهُ إلى المئويَّة، سألَني إنْ كانَ العُمرُ سيسمَحُ له بذلك، وأجبتُه "الله كريم".

***

أيُّها الأحبَّة،

قَدَرُ أُسرتنا أنْ يكونَ البولُسيُّونَ في صُلبِ حياتها، حتَّى قبلَ أنْ كانَتِ الأُسرَةُ. فمُؤسِّسُ الرِّسالة البولُسيَّة، المِطران جِرمانوس مُعَقَّد الَّذي أُزيحَ السِّتارُ عن نَصبِه التَّذكاريِّ قبلَ قليل، وجَدُّ الوالِد لأمِّه، إبنا خالة.

نَعَم، كان البولُسيُّونَ في صُلب حياة أُسرَتنا. حتَّى في الأَماسي، كنَّا نَسترِقُ السَّمْعَ لِما يَدورُ في دار بيت صَربا من أحاديثَ للـــ "كِبار" لا يَجوزُ لنا، نحن "الصِّغارَ"، أن ندخُلَ في تَضاعيفها. وفيما كانتِ الوالدةُ، أنجليك، "تُعَمِّرُ" النَّارَجيلاتِ بالتَّبغ العَجَميّ، كانَ العَلاَّمَةُ، الأستاذُ، الأبُ يوسف دُرَّه الحدَّاد، والبولُسيَّانِ الأبوانِ الأخوانِ الألمَعيَّان جورج وحنَّا الفاخوري، والباسيليُّ الحَلَبيُّ المؤرِّخُ أدريانوس شكُّور، طابَ ذِكرُ الجميع، والأبُ إيلاريون كبُّوجي، المِطرانُ المُقاوِمُ لاحقًا، أطالَ اللهُ عمرَه؛ كانَ هؤلاءِ يَتنادَرونَ مع الوالِد، أو يَتباحثونَ في أمورٍ وأمور، ومنها "المَسَرَّةُ" التي لَطالَما سَطَّروا صفحاتِها بالأبحاث والمَقالات الفِصاح.

أَقُلتُ كان البولُسيُّونَ في صُلب حياة أُسرَتنا؟ حَسَنًا، ولمَّا يَزالوا؛ فما بَثَّه متري في نُفوس بَنيه ما فَتِئَ فاعلاً في مجالاتٍ كثيرةٍ لا فائدةَ من سَردها هَهُنا. أكتَفي فأذكُرُ أنِّي، في العام ٢٠١١، عندما أسَّستُ جمعيَّةً لا تَبغي الرِّبحَ هي مؤسَّسةٌ تُعنى بنَشر الثَّقافة بالمجَّان، وَجَبَ عليَّ أن أُحدِّدَ الجهةَ التي ستَرِثُ موجوداتِ المؤسَّسة، إنْ هي أوقفَتْ أنشِطَتَها، ومتى. لَم أُفكِّر: الجمعيَّةَ البولُسيَّةَ حدَّدت.

وبعدَ أشهرٍ اكتشَفتُ وصيَّةً أولى للوالد، ذَيَّلَها بعبارة "الفقير إلى رحمة ربِّه"، ووقَّعها في الخامسَ عشرَ من تشرين الثَّاني ١٩٤٣، أي أنَّه نصَّها في الحادية والثَّلاثين من العُمر؛ وفيها، بعدَ ذِكر إيمانه الذي هو "على رَجاء القيامة"، ونَبذِه، هو العَفيفُ، كلَّ ما يُنافي الآدابَ في كتاباتِه؛ فيها أنَّ مالَه – ولو فَلْسًا واحدًا – يُوزَّعُ كالآتي: رُبعُه لتَشييع جِنازتِه، ورُبعٌ لدير القدِّيس بولُس – حريصا (حَسَنات قُدَّاسات)، وربعٌ للفقراء، وربعٌ لأهلِه.

لقد ذَكَرَ متري أربابَ عَمَلِه وأُخوتَه البولُسيِّينَ في وَصيَّته، والفقراءَ، قبلَ أنْ يَفطَنَ لِوالدةٍ أرمَلَةٍ، وأهل: هي الرُّوحُ البولُسيَّةُ، أحبَّتي؛ هي الرُّوحُ التي أين منها روحُ العَصر المِركَنتيليَّة؟ هي الرُّوحُ التي انتشرَتْ بالوَعظ والعَمَل والمِثال الحَسَن، والتي علينا أن نَسعى، نَحلاً عامِلاً مِعْسالا، كَيما تَستمرَّ، وتَنتَقلَ من جيلٍ إلى جيل، ولاسيَّما في صفحات "المَسَرَّة" التي نَحتفلُ السَّاعةَ بمئويَّتها الأولى، و"أُمسياتِ الأحد" التي يُنشَرُ العددُ المئةُ من سلسلتها الجديدة قريبًا، إلى صفحاتِ السَّلاسل الدِّينيَّة والأخلاقيَّة والبَحثيَّة الهادِفَة الكثيرة التي تُصدرُها المكتبةُ البولُسيَّةُ الزَّاهِرَةُ بطِباعةٍ مُميَّزةٍ من أمِّ المَطابع، ومُوَلِّدَتِها، في كسروانَ وسِواها، عَنَيتُ المَطبعةَ البولُسيَّةَ "العامِرَةَ" على ما كان يَحلو لمتري أن يَصِفَها، عَنَيتُ مَلعَبَ طُفولتي، وجَنَّتَها.

ولَئِن لم يَنجَحِ الأبُ جورج باليكي، مديرُ "المَسَرَّةِ" الحالي، في حَمْلي ذاتَ يومٍ على التَّكَرُّس لدى البولُسيِّين، فها إنِّي، وأُسرَتي، السَّاعةَ، خمسةُ بولُسيِّين من الأقحاح، قِبْلَتُنا حَريصا!

أيُّها الكِرام،

سَبَقني متري نعمان؛ سَبَقني إلى التَّبَولُس؛ وإنْ سبَقتُه أنا لجهة أنِّي وُلِدتُ بولُسيًّا، فالفضلُ في ذلك يَعودُ إليه أيضًا!

***

وبَعدُ،

ثلاثٌ تبدأُ بالميمِ – "المُقتَطَف"، و"المَشرِق"، و"المَسَرَّة" – زَيَّنَت، بين لبنانَ ومِصرَ، تاريخَ الصِّحافة العربيَّة. الأولى توقَّفَت عن الصُّدور نهائيًّا في العام ١٩٥٢، والثَّانيةُ توقَّفَت في الحرب الكونيَّة فبَين العامَين ١٩٧١ و١٩٩١ من دون أسبابٍ قاهِرَة، والثَّالثةُ، "المَسرَّة"، ما زالَت تصدُرُ، منذ العام ١٩١٠؛ وإنْ هي انقطَعَتْ عن الصُّدور في الحرب الكونيَّة، فلأنَّ وَرَقَها بيعَ لإطعام الجِياع.

فلنَعمَلَنَّ، أحبَّتي، على دَعم "المَسرَّة"، ولْنُمِدَّها بالمادَّةِ والمَوادَّ، كَيما تُجَدِّدَ شبابَها، كما لَطالَما فعلَت، وتستمرَّ وتستمرَّ "مجلَّةً شهريَّةً للإعلام والدِّراسات الدِّينيَّة والاجتماعيَّة"، هادِفَةً هادِفة، تُوَزَّعُ بآلاف النُّسَخ في المَشرق ووادي النِّيل، من شماليِّ العراق إلى جنوبيِّ السُّودان، وكَذا في مناطق العالَم الأخرى؛ ولِمَ لا كَيما يَقرأها الملايينُ من طريق مَوقعٍ إلكترونيٍّ رائِد.

***

أرفعُ تحيَّةً من القَلب إلى الآباء البولُسيِّين الأجلاَّء، وإلى كلِّ مَن عَمِلَ ويَعمَلُ في مؤسَّساتهم، بالفِكر وبالسَّاعِد، في المسرَّة والمَطبعة والمكتبة والمدرسة الإكليريكيَّة ومعهد اللاَّهوت والفلسفة، وكَذا إلى كلِّ مَن عَمِلَ في المدرسة المِهْنِيَّة البولُسيَّة، ومَعمَلِ البَلاط الشَّهير الذي أمَدَّ جونية بالكهرباء، ومَعمَلِ الثُّرَيَّات، والمَشاغِل المُختَلِفَة، لا أنسى منها مَغازِلَ الأخِ القدِّيس، أَلَكْسيوس.

شُكري لكم جميعًا، أيُّها الكِرام؛ شُكري لِوجودكم ومُشاركتكم إيَّانا في احتفال اليوبيل المئويِّ الأوَّل لصدور مجلَّة "المَسَرَّة"، وإزاحة السِّتار عن نَصْب مؤسِّس الجمعيَّة البولُسيَّة المُثَلَّث الرَّحمة المِطران جِرمانوس مُعَقَّد.

دُمتُم، دامَتِ الجمعيَّةُ البولُسيَّة، دامَ لُبنان،

دامَتِ "المَسَرَّةُ" في بَني البَشَر.